حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به - العدد الاول - شهر رمضان - ١٤٣٢هـ / آيار - ٢٠١١م

١

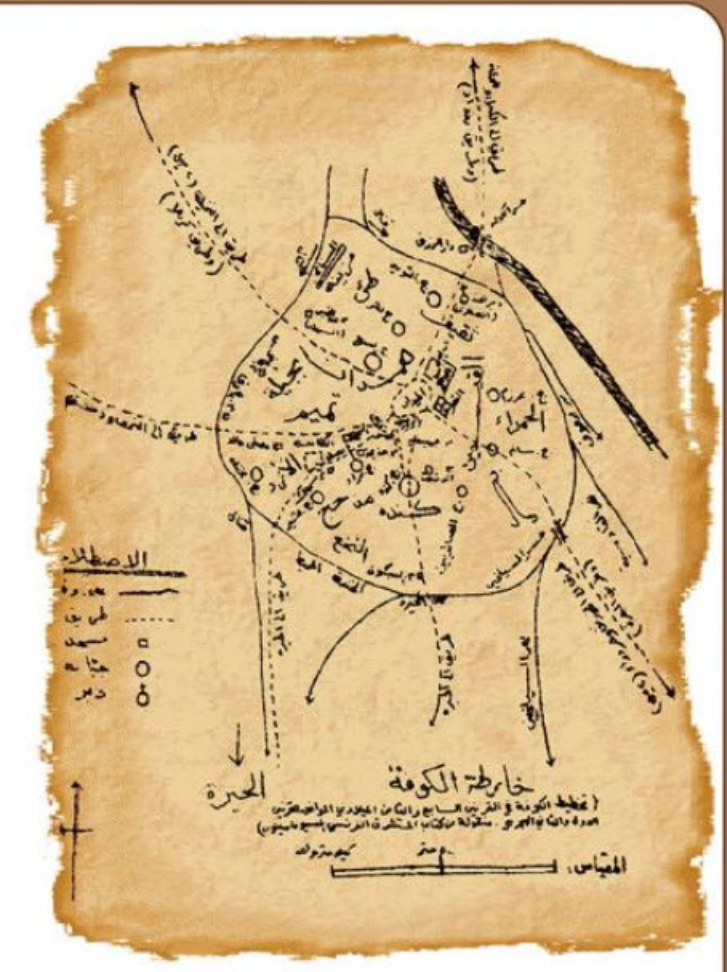

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

حولية الكوفة

دورية سنوية محكّمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة
ومسجدها المعظم - تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقه به - العدد الأول ١٤٣٢هـ/٢٠١١م

المشرف العام

السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير

د. كامل سلمان الجبوري

الهيأة الاستشارية

العلامة الأستاذ الأول المتمرس الدكتور: محمد حسين الصغير

الأستاذ الدكتور: حسن عيسى الحكيم

الأستاذ الدكتور: محمد كريم ابراهيم الشمري

الأستاذ الدكتور: علاء حسين الرهيمي

الأستاذ الدكتور: صباح نوري المرزوك

الدكتور: صالح القريشي

سماحة العلامة السيد: علاء محمد تقي الحكيم

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

أضواء على تاريخ الحوزة العلمية في الكوفة
منذ نشوئها وحتى القرن الرابع الهجري

السيد مثنى محمد رضا الشرع
جامعة النجف الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾- التوبة: ١٢٢

عندما جاء الإسلام وأطاح جميع الأعراف والتقاليد البالية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي، فكان الإسلام أول دين سماوي اقترنت ولادتهُ بالدعوة إلى القراءة والحث على التعلم، فالكلمة الأولى التي هتف بها الوحي ووعتها أسماع النبيﷺ هي الأمر بالقراءة **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾** وتلتها مباشرة **﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾** وجاء في سياقها تأكيد دور القلم **﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾**. وتكررت الآيات التي تحث على القراءة والتعليم ومرادفاتها الأخرى منبسطة على مساحة واسعة من القرآن الكريم حتى صار هذا الموضوع محوراً أساسياً في القرآن الكريم. وافتتاح نزول القرآن الكريم على النبيﷺ بالأمر بالقراءة ظاهرة متميزة لا نعثر على ما يماثلها في أي كتاب سماوي آخر، تعني في إحدى دلالاتها أن القرآن الكريم كتاب يهدف إلى تعميم المعرفة وإشاعة العلم واستئصال منابع الأمية والجهل.

ويتحلى هذا المعنى بصورة واضحة في بيان القرآن الكريم لمهمة النبيﷺ المتمثلة في التزكية وتعليم الكتاب والحكمة **﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾** آل عمران: ١٦٤ هذه المهمة التي باشرها النبيﷺ منذ اليوم الأول الذي بُعث فيه وواصلها بدأب ومثابرة حتى آخر لحظة من حياته الشريفة.

وتعود نشأة الحياة العلمية في الكوفة إلى الأيام الأولى من تمصيرها وذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب بعث إليها كل من عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً وذكر لهما عمر أنه آثرهم على نفسه حباً لهما لأنهما من النجباء ومن أصحاب النبيﷺ[١] وتفرغ عبد الله بن مسعود لتعليم أهل الكوفة القرآن الكريم وبيان أصول تلاوته وتفسيره فتخرج عليه من القراء المعروفين[٢] كانت الكوفة ناشطة في مجال العلم والحديث والفكر في القرن الثاني والثالث والرابع الهجري وكانت مَجمْعاً للعلماء والمحدثين ومهوى طلبة العلوم الدينية. وعندما اختار سعد بن أبي وقاص عام ١٧هـ أرض الكوفة للعسكر وأنشأ مسجد الكوفة وبيوتاً للعساكر والجند عرفت بكوفة الجند ثم نزلت القبائل فيها وتحولت إلى محطة تجارية كبرى بين بلاد فارس والهند وبلاد الروم واليونان[٣].

ثم دخلها الإمام عليعليه السلام بعد الانتهاء من معركة الجمل عام ٣٦هـ وجعلها عاصمة خلافته حتى يوم استشهاده عام ٤٠هـ فتحولت كوفة الجند إلى كوفة القبائل ومن بعدها إلى كوفة العلم والأدب لأن عدداً من كبيراً من أصحاب النبيﷺ والتابعين الحاملين للأحاديث النبوية الشريفة قد انتقلت من المدينة المنورة إلى الكوفة.

كما أن الإمام الصادقعليه السلام أيام أبي جعفر المنصور حلّ في الكوفة لمدة سنتين. وفي ظل هذا العدد الكبير من المحدثين والصحابة والتابعين ازدهر العلم وتوسعت الدارسات وتعمقت الأبحاث عندما وفد عليهم الإمام الصادقعليه السلام[٤].

يصف المؤرخ حسين البراقي هجرة الصحابة من المدينة المنورة إلى الكوفة بقوله...: إن عدداً كبيراً من صحابة رسول اللهﷺ قد انتقلوا إلى الكوفة وقطنوا فيها وغدّد مائة وسبع وأربعين شخصاً منهم أبو مسعود الأنصاري، وسليمان بن

(١) فضل الكوفة وأهلها، ص٨٩.
(٢) ضحى الإسلام، ج٢ ص٧٩.
(٣) تاريخ الكوفة ص١٤٧.
(٤) الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ص٣٢.

صُرد الخزاعي[1]، ومالك بن عبد الله الخزاعي وغيرهم[2].

وأوردَ ابن سعد البصري في كتابه الطبقات الكبرى ترجمة ثمانمائة وخمسين تابعياً ممن سكن الكوفة. ويمكن القول أن الحركة العلمية التي نشطت في الحوزة العلمية في النجف كانت امتداداً للحوزة العلمية في الكوفة التي انتعشت في أوائل القرن الثاني للهجرة، وخاصة في فترة وجود الإمام الصادق عليه السلام فيها فقد كان للإمام الصادق عليه السلام مناظرات مع أبي حنيفة النعمان بن ثابت في الكوفة كما وكان له حلقات درس فيها[3]. وقد قال الحسن بن علي الوشا[4]. (أدركت في هذا المسجد -يعني مسجد الكوفة- تسع مائة شيخ كلهم يقول حدثني جعفر بن محمد- يعني الإمام الصادق عليه السلام[5].

ثم إن أبان بن تغلب بن رياح الذي هو من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام، قد بلغ حتى درجة من العلم حتى قال الإمام الباقر عليه السلام «اجلس في مسجد المدينة وأفتِ الناس فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك».

وقال فيه الإمام الصادق عليه السلام عندما بلغهُ موتهُ «أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان»[6].

إن أبان بن تغلب تزل كندة من الكوفة وتوفي فيها وذلك عام ١٤١هـ وفي ضوء ما سبق يتبين لنا أن الحوزة العلمية في الكوفة اتسعت لتستوعب آلاف الطلبة وتنوعت في تخصصاتها وفروعها المعرفية فشملت العلوم الطبيعية وعلوم اللغة العربية مضافاً إلى العلوم الشرعية وشاع في فضائها منطق الحوار والحرية والتسامح وقد ساهم عدد من العلماء كانوا يتركون بلادهم ويشدّون الرحال إلى الكوفة للاستزادة من العلم والحديث والاستماع من الرواة والمحققين ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

١- الحسن بن أحمد بن محمد بن إبراهيم العجلي وقد رآهُ النجاشي بعد أن هاجر من الري إلى الكوفة وقال أنهُ من وجزهُ أصحابنا وأبوهُ وجدهُ ثقة.

٢- علي بن سليمان الرازي.

٣- هارون بن موسى التلعكبري توجه إلى الكوفة للاستفادة من كبار الفقهاء والمحدثين أمثال الحسن بن محمد أبو القاسم السكوني الكوفي حيث سمع منه في دارهِ بالكوفة عام ٣٤٤هـ[7].

٤- عبد الله بن جعفر بن الحسين بن مالك بن جامع أبو العباس الحميري شيخ القميين ووجههم قدِمَ الكوفة في نيف وتسعين ومأتين.

٥- محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الصدوق[8].

٦- علي بن الحسن بن فضال، عاش في الكوفة وكان من كبار العلماء والفقهاء في القرن الرابع.

٧- محمد بن الهيثم العجلي الرازي وهو من مشايخ النجاشي وقد رآهُ حين جاور الكوفة على الرغم من كونهِ من الري.

٨- جعفر بن شهريار المعروف بأبي محمد المؤمن انتقل إلى الكوفة ومات بها عام ٣٤٠هـ

٩- أحمد المعروف بابن عقدة مات بالكوفة سنة ٣٣٣هـ مع أنهُ من أهل بغداد[9].

كانت الكوفة في القرن الثاني والثالث والرابع الهجري تعجُ بأهل العلم والفكر والحديث الشريف وفي ظل هذا الملتقى العلمي نشأت أُسر عليمة مثل أسرة آل أعين وبنو الياس البجلي وآل أبي شعبة الحلبيون وآل حيان وغيرهم). وخلال القرن الثاني الهجري نجد في الكوفة مائة وسبع وخمسين عالماً ومحدثاً، وفي القرن الثالث الهجري نجد مائة وواحد وثمانين رجلاً فيهم العالم الفاضل والروائي. وفي القرن الرابع نجد أن هذا العدد هبط إلى سبع وعشرين عالماً ومحدثاً.

---

(١) هو سليمان بن صرد بن الجوان بن أبي بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن جنيس بن جرام بن حبشية بن كعب بن عمرو، ويكنى أبا مطرف، أسلم وصحب النبي صلى الله عليه وآله وكان اسمهُ في الجاهلية يسار، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وآله سليمان. وكان له مكانة عالية وشرف في قومه كما كان صحابياً جليلاً نبيلاً عابداً زاهداً، ولما قبض النبي صلى الله عليه وآله تحول فنزل الكوفة حين نزلها المسلمون وشهد مع الإمام علي عليه السلام الجمل وصفين وهو الذي قتل حوشباً ذا ظليم الألهاني بصفين مبارزة، ثم اختلط الناس يومئذ. وكان أحد الذين يجتمع الشيعة في داره لبيعة الإمام الحسين عليه السلام فيمن كتب إليه بالقدوم إلى العراق، فلما قدمها تخلوا عنه، وقتل كربلاء بعد ذلك، ورأى هؤلاء أنه كانوا سبباً في قدومه، وأهم خذلوه حتى قتل هو وأهل بيته، فندموا على ما فعلوا معه. ثم اجتمعوا في هذا الجيش وسموا جيشهم جيش التوابين. وسموا أميرهم سليمان بن صرد (أمير التوابين) فقتل سليمان في هذه الواقعة بعين الوردة سنة خمسة وستين، وكان عمره يوم قتل ثلاث وتسعين سنة وحمل راسة إلى مروان بن الحكم. انظر: الطبقات الكبرى ج٤ ص٦٤٩، البداية والنهاية ج٨ ص٥٥.

(٢) تاريخ الكوفة، ص٤٢٥.

(٣) مرآة الجنان ج١ ص٣٠٥.

(٤) الوشا: هذه النسبة إلى بيع الوشي وهو نوع من الثياب المعمولة من الابريسم والوشا هذا من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، انظر: رجال النجاشي ص٣٠، رجال الطوسي ص٣٧١.

(٥) معجم رجال الحديث، ج٥ ص٣٥.

(٦) مدرسة أهل البيت، ص٨٦.

(٧) طبقات أعلام الشيعة ص١٠٠.

(٨) الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، أحد شيوخ الإمامية ورئيس المحدثين، صاحب كتاب (من لا يحضرهُ الفقيه) أحد الأصول الأربعة عند الأمامية، ولد عام (٣٠٦هـ) جاء إلى بغداد عام (٣٥٥هـ) وتوفي بالري عام (٣٨١هـ) راجع: رجال النجاشي ص٣٠٢، الكنى والألقاب ج١ ص٢١٦.

(٩) طبقات أعلام الشيعة ص١٠٠.

أما أسباب ضعف الحركة العلمية في الكوفة فيرجع إلى هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف وذلك عام ٤٤٨هـ وبقي فيها بعد فراره من بغداد حتى وفاته فيها وذلك عام ٤٦٠ هـ واستمرت أَسرتهُ بها من بعده، ولا يَزال بيتهُ اليوم قائماً فيها حتى الوقت الحاضر بيد أنه حول إلى مسجد يعرف اليوم بمسجد الشيخ الطوسي. وهكذا غدت الحوزة العلمية في مدينة النجف بعد فترة قصيرة من وصول الشيخ الطوسي إليها حاضرة العلم والفكر وأخذا الناس يهاجرون إليها من مختلف المناطق، وباشر الشيخ الطوسي بعد إقامته بها التدريس فكان يملي دروسهُ على تلاميذهِ بانتظام وما كتاب (الأمالي) إلاّ محاضرات ألقاها هناك.

أما الأسباب التي أدت إلى هجرة الطوسي من بغداد أكبر المراكز العلمية آنذاك إلى الكوفة فالنجف ليؤسس أولى الحوزات العلمية فهي:

١- **السبب السياسي**: وهو أتباع البويهيين ثم السلاجقة سياسة التفرقة الطائفية التي انعكست سلباً على بغداد بصورة خاصة والعراق بشك لعام لذلك لم يبق للطوسي مكان في بغداد فقرر الهجرة إلى جوار ضريح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لوجود الأتباع له هناك.

٢- **السبب الاقتصادي**: متمثلاً بسوء الحالة الاقتصادية وغلاء الأسعار نتيجة الاضطراب السياسي الحاصل الذي اثر في طلاب اعلم سلباً إلى حد عدم استطاعتهم الاستمرار في بغداد.

٣- **السبب الاجتماعي**: أدى انتشار الفقر والمرض والجوع إلى انتشار السراق وقطاع الطرق، وفقد الأمان خلال حكم البويهيين والسلاجقة على حد سواء لقد كان البويهيون يناصرون ويدعمون مذهب التشّيع في أواخر عهد الدولة العباسية لأغراضهم الخاصة مستغلين ضعف الخلافة وكذلك فعل السلاجقة الذين ناصروا ودعموا مذهب أهل السنة لأغراضهم الخاصة أيضاً.

ومن أسباب ضعف الحركة العلمية في الكوفة أيضاً هو تأسيس مدينة بغداد في منتصف القرن الثاني للهجرة، لأن كثيراً من علمائها هاجروا إلى بغداد وآثر فريق منهم الهجرة إلى النجف للتحصيل العلمي. ويؤيد هذا الرأي الشيخ الشرقي بقوله: «... فامتدت المدرسة من الكوفة إلى النجف، وفي القرن الثانيَ للهجرة بدأت العمارة والتشييد لمدرسة النجف فانتقلت المدرسة من الكوفة إليها، وبقيت الكفة تصبُ في بحر النجف إلى القرن الثامن الهجري وعند ذلك استوعبت النجف كلما كان في الكوفة»[١].

(١) الأحلام، ص٤٢.

ومن أسباب ضعف الحركة العلمية في الكوفة هو نشاط الحركة العلمية في كل من بغداد وقم والري وبعد ظهور أعلام كبار في هذه البلاد أمثال (علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، علي بن إبراهيم القمي، ومحمد بن يعقوب الكليني[٢]، وجعفر بن موسى بن قولويه[٣]، والشريف الرضي[٤]) وغيرهم.

ومن أسباب ضعف الحركة العلمية في الكوفة أيضاً هو أن النجف لقيت عناية من قبل بعض الحكّام خلال القرن الثالث الهجري، فقد أمر صاحب طبرستان (مازندران حالياً) محمد بن زيد العلوي المتوفى عام ٢٨٧هـ بأن يبني في النجف قبة وحائط كما وأمر بإرسال الأموال من طبرستان لتعمير العتبات المقدسة في النجف وكربلاء والمدينة المنورة، وذلك في أثناء خلافة المعتضد بالله (٢٧٩- ٢٨٩هـ) كذلك كان عضد الدولة البويهي (٣٦٧- ٣٧٢هـ) فإنهُ حين زار النجف عام ٣٧١هـ طرح في ضريح الإمام علي عليه السلام دارهم فأصاب كل واحد منهم أحد وعشرون درهماً وكان عدد العلويين ألفاً وسبعمائة اسم، وفرق على المجاورين وغيرهم خمسمائة درهم وعلى الفقراء والفقهاء ثلاث آلاف درهم[٥].

فقد أصبحت النجف عاصمة التدريس للفقه الجعفري وعلوم الدين منذ عصر آل بويه بعد أعمارهم المرقد العلوي وإجزال الصلات والرواتب للمقيمين به.

وللشاعر الحسين بن الحجاج البغدادي قصيدة يشير فيها إلى وجود العلم في النجف خلال القرن الرابع الهجري منها:

يا صاحب القبة البيضا على النجف
مَنْ زار قبرك واستشفى لديك شفي
زوروا أبا الحسن الهادي فأنكم
تحظون بالأجر والإقبال والزلف

(٢) الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، من شيوخ الامامية الكبار، صاحب الكتاب الكافي أحد الأصول الأربعة عند الشيعة، توفي في بغداد سنة ٣٢٨ أو ٣٢٩هـ ودفن بمقبرة باب الكوفة. راجع: الكنى والألقاب، ج٢ ص١٠٣د.

(٣) ابن قولويه: أبو القاسم جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه أستاذ الشيخ المفيد، ومن كبار علماء الامامية، له تصانيف كثيرة على عدة أبواب الفقه، توفي سنة ٣٦٨هـ ودفن بجوار الإمامين موسى الكاظم، ومحمد الجواد عليهما السلام، بجنبه دفن الشيخ المفيد راجع: رجال الطوسي ص٤٥٨، رجال النجاشي، ص٩٥، الكنى والألقاب ج١ ص٣٨٥.

(٤) الرضي: هو الشريف أبو الحسن محمد بن الحسين، ولد سنة ٣٥٩هـ وتوفي ببغداد سنة ٤٠٦هـ نقيب النقباء، وكانت إليه إمارة الحج والمظالم، شاعر عصره، محباً للعلم والعلماء، دفن في داره ثم نقل إلى كربلاء عند مشهد الإمام الحسين عليه السلام بجوار أبيه. راجع: عمدة الطالب، ص١٩٦.

(٥) فرحة الغري، ص١٥٥، أضواء على تاريخ النجف، ١٥.

زوروا لمن يسمع النجوى لديه فمن
يزرهُ بالقبر ملهوفاً لديه كفي
وقل سلامٌ من الله السلام على
أهل السلام وأهل العلم والشرف[1].

لم تكن هناك حوزة علمية في النجف إلاّ بعد أن حلّ بها الشيخ الطوسي الذي أسس الحوزة العلمية الدينية فيها بعد أن كانت خالية من حلقات البحث والتدريس ويؤيد ذلك ما ذكرهُ السيد الشهيد محمد باقر الصدر بقوله: «... إنّ مؤرخي هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف لم يشيروا إطلاقاً إلى أن تلامذة الشيخ الطوسي في بغداد رافقوهُ أو التحقوا به فور هجرته إلى النجف وإذا لا حظنا إضافة على ذلك قائمة تلامذة الشيخ التي يذكرها مؤخوهُ نجد أنهم لم يشيروا إلى مكان التلمذة إلاّ بالنسبة إلى شخصين جاء النص على أنهما تلمذا على الشيخ في النجف وهما الحسين بن المظفر بن علي الحمداني، والحسين بن الحسن بن بابويه القمي»[2].

ويضيف قائلاً: (... وفرق كبير بين المبدع الذي يمارس إبداعه العلمي داخل نطاق الحوزة ويتفاعل استمرار وتواكب الحوزة إبداعه بوعي وتفتح، وبين المبدع الذي يمارس إبداعهُ خارج نطاقها وبعيداً عنها)[3].

أدوار مدرسة الكوفة العلمية:

الدور الأول: يبد هذا الدور من تمصير الكوفة سنة ١٧هـ ويتواصل حتى سنة ٤٠هـ بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام وعقد الإمام الحسن عليه السلام الصلح مع معاوية بن أبي سفيان، ثم مغادرة أهل البيت عليهم السلام الكوفة وعودتهم إلى موطنهم المدينة المنورة، وتفريغ مدرسة الكوفة من أساتذتها من أهل البيت عليهم السلام ويمثل هذا الدور الرحلة التأسيسية في مسار مدرية الكوفة.

الدور الثاني: ويبدأ بعودة أسرة الإمام علي عليه السلام إلى المدينة المنورة وتخلي الإمام الحسن عليه السلام عن الخلافة وبسط معاوية سلطتهُ على الكوفة وفرض الولاة الأمويين ما يشبه الأحكام العرفية على الكوفيين ومطاردتهم الطليعة من تلامذة الإمام علي عليه السلام وحبسهم والتنكيل بهم وصلب غير واجد منهم ويمتد هذا الدور إلى سقوط الدولة الأموية عام ١٣٢هـ وقد شهد هذا العهد تراجعاً في نشاط مدرسة أهل البيت عليهم السلام بالكوفة بفعل ما عاشتهُ هذه المدينة من قلق واضطرابات وحروب أهلية فإن السنوات الواقعة بين سنة ٤١ إلى ١٢٦هـ اتخذت فيها عدة ثورات موالية لأهل البيت عليهم السلام الكوفة منطلقاً لها وهي ثورة الإمام الحسين عليه السلام وثورة التوابين وثورة المختار الثقفي، وثورة زيد بن علي. فقد أصيبت مها الحركة الفكرية بشيوع مناخ من الإرهاب الفكري.

الدور الثالث: ويبدأ هذا الدور بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية عام ١٣٢هـ ومجيء الإمام الصادق عليه السلام إلى الكوفة في العقد الرابع من هذا القرن أيام خلافة أبي العباس السفاح وبقائه فيها سنتين استمر هذا الدور إلى أوائل العقد الرابع الهجري بعد زوال شأن الكوفة واضمحلال الحياة العلمية فيها.

الدور الرابع: ويبدأ هذا الدور أوائل القرن الرابع الهجري إلى اندثار الكوفة وخرابها في القرن الثالث، الهجري وفي هذا الدور استمر مؤشر الحركة الفكرية بالانحدار تدريجياً بعد نزوح أكثر أهل العلم وتوطنهم في حواضر علمية أخرى ويمثل هذا الدور عهد الانحطاط الذي آل إلى انطفاء الحياة العملية بالكوفة.

وبعد اندثار الحوزة العلمية ي الكوفة كما بينا سابقاً بدأت حوزة جديدة في النجف أسسها الشيخ الطوسي بعد أن فر من بغداد بسبب حوادث العنف التي حدثت في عام ٤٤٨هـ فوجد الشيخ الطوسي في النجف حركة علمية فسعى إلى إنمائه وقد استطاع خلال سنوات قليلة أن يجعل من هذه المدينة مركزاً للتخصص ف الفقه والأصول وغيرهما من موضوعات الثقافة الإسلامية. أما بغداد فإنها شهدت تحركاً من نوع آخر وهو إنشاء المدارس النظامية وكان الغرض من هذه المدارس إيقاف التيار الفكري الذي اتجه إليه الشيعة الإمامية والمعتزلة وغيرهم ممن يأخذون بالترعة العقلية، ويرى المؤرخ الأستاذ الدكتور حسين أمين: بأن مدارس نظام الملك قد خُلقت لمكافحة التشيع[4].

وإن إنشاء مثل هذه المدارس يعتبر سلاحاً استعملهُ الوزير السلجوقي نظام الملك كما يظهر من مفهوم رسالته إلى ألب أرسلان التي يقول فيها: جعلت لك من خراسان جنداً يصونك ولا يخذلونك ويرمون بسهام لا تخطئ وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالإحسان إليهم أعظم أعوانك. ومن هذا نجد أن السلاجقة قد تبنوا سياسة نظام الملك واتخذوا من المدارس النظامية وسيلة لمقاومة التشيع على الصعيد الفكري، ولما كانت هذه المدارس تدعو إلى المذهب الشافعي، فقد قاومها الحنابلة وأصبحت بغداد وغيرهما من المدن ميداناً للصراع بين المذاهب الإسلامية المختلفة.

(١) الكنى والألقاب، ج١ ص٢٥١.
(٢) المعالم الجديدة للأصول، ص٦٤.
(٣) المصدر السابق، ص٦٦.
(٤) تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ص٢٢٢.

المناهج الدراسية في الحوزة العلمية في العصر الحديث:

إن منهج الدارسة في الحوزة العلمية في النجف يختلف عن المناهج العليمة للمدارس الحديثة والمعاهد والكليات والجامعات فالمنهاج في الحوزة العلمية ينقسم إلى ثلاثة مراحل دراسية لكل مرحلة منها كتاباً خاصة بها ومحاضرات محددة وهي: «مرحلة المقدمات ومرحلة السطوح ومرحلة البحث الخارج».

أ- مرحلة المقدمات:

تتولى هذه المرحلة دراسة المقدمات والعلوم التمهيدية التي تؤهل الطلبة لفهم النصوص القرآنية والأحاديث المعتبرة مثل علم الصرف والنحو والبلاغة وعليم المنطق:

*** الكتب الدراسية المنهجية في علوم اللغة العربية للطلبة العرب لمرحلة المقدمات:**

١- كتاب الاجرومية: لابن آجروم الصنهاجي وهو كتاب صغير يشمل على أوليات القواعد العربية النحوية.

٢- كتاب قطر الندى وبل الصدى: ألفه ابن هشام الأنصاري وهو أوسع امن كتاب الاجرومية في اللغة العربية.

٣- كتاب شرح ابن عقيل: إنه كتاب يشمل على أرجوزة تتكون من ألف بيت شعري المعروفة بألفية ابن مالك لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن مالك المتوفي سنة ٦٧٢هـ

٤- كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام الأنصاري ويحتوي هذا الكتاب على ثمانية أبواب يشمل الباب الأول مفردات اللغة العربية والباب الرابع في أحوال الجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي لا محل لها من الإعراب.

٥- كتاب المختصر: لقد كتبَ أبو يعقوب يوسف السكاكي كتاب (مفتاح العلوم) في البيان والمعاني والبديع ثم جاء من بعد الخطيب محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني المتوفى سنة ٧٣٩هـ ولخص كتاب مفتاح العلوم وسماهُ تلخيص المفتاح. ثم جاء مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١هـ فشرح تلخيص المفتاح بأسلوبين أحدهما مبسوط سماه (المطول) وثانيهما مختصر (مختصر المعاني).

*** الكتب المنهجية الدراسية لمرحلة المقدمات للطلبة الغير عرب:**

من المعروف أن الحوزة العلمية في النجف تضم بين دفتيها طلاب من أنحاء مختلفة فنرى منهم (الهندي، والأفغاني، والباكستاني، والإيراني، والتركي، ومن قفقازيا، وغيرها من البلدان) فهؤلاء يدرسون كتباً تمهديه هي:

١- كتاب الأمثلة: وهو كتاب صغير في علم صرف اللغة العربية يتولى صرف مادة ضرب في صيغ فعل الماضي والمستقبل والأمر والنهي والجحد والنفي والاستفهام وإسمي الفاعل والمفعول.

٢- كتاب شرح الأمثلة: وهو يتحدث عن صرف اللغة العربية وهو كتاب شرح للكتاب السابق.

٣- كتاب التصريف: وهو كتاب في علم الصرف.

٤- شرح التصريف: وهو شرح للكتاب السابق في علم الصرف.

٥- عوامل ملا محسن: كتاب يبحث عن القواعد النحوية بصورة مختصرة.

٦- عوامل النحو: كتاب يبحث عن القواعد النحوية.

٧- الهداية: لمؤلفه أبي حيان التوحدي.

٨- شرح الأنموذج: يحتوي هذا الكتاب على متن الزمخشري.

٩- الفوائد الصمدية المعروف بالصمدية: لمؤلفهِ الشيخ بهاء الدين العاملي.

١٠- البهجة المرضية: لجلال الدين السيوطي.

١١- المطول: لمسعود بن عمر التفتازاني وهو شرح كتاب تلخيص المفتاح.

*** بقية الكتاب الدراسية لمرحلة المقدمات:**

إنّ الطلاب في الحوزة العلمية يدرسون إلى جانب دراستهم في علوم اللغة العربية، علوم الفقه والمنطق، ويتساوى جميع الطلاب أمام هذين العلمين حيث يدرسون:

١- الرسالة العلمية في الفقه: وتشمل أحكام الحلال والحرام.

٢- حاشية ملا عبد الله علي التهذيب: كتبَ سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢هـ كتاباً مختصراً مضغوطاً في علم المنطق وأسماهُ (تهذيب المنطق والكلام) ثم جاء الشيخ عبد الله بن شهاب الدين اليزدي المتوفى سنة ٩٨١هـ وشرح المتن فعرف في أوساط الحوزة العلمية بإسم حاشية ملا عبد الله اليزدي.

٣- كتاب المنطق: لمؤلفه الشيخ محمد رضا المظفر، كتبه الشيخ في ثلاثة أجزاء تضمن الجزء الأول مباحث هي الألفاظ والكلي والجزئي والمُعرّف والجزء الثاني تضمن مباحث القضايا وأحكامها والجزء الثالث جاء عن الصناعات الخمس.

٤- شرح الشمسية.

ب- مرحلة السطوح:

إن طلبة الحوزة العلمية العرب وغير العرب يلتقيان في هذه المرحلة في الكتب الدراسية ومنهاج الحوزة حيث إن طلاب الحوزة يدرسون في مرحلة السطوح من كتب الفقه:

١- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: وهو كتاب يشمل على متن مختصر للشهيد الأول[١]، وشرحهُ الشهيد الثاني[٢]، وتحرص الحوزة العلمية أساتذةً وطلاباً على دراسة هذا الكتاب بجميع أجزائه التي بلغت أحد عشر مجلداً، وهذا الكتاب يجمع بين دفتيه جميع الأبواب الفقهية ولا يتسنى للطالب بدراسة الأبحاث الفقهية بأسرها إلاّ إذا درس هذا الكتاب.

٢- كتاب المكاسب: للشيخ الأنصاري[٣]، وهو كتاب فقهي اجتهادي استدلالي يتناول البيع والتجارة بكل أبعادها وتفاصيلها.

(١) الشهيد الأول: هو الشيخ محمد بن ملكي العاملي (٧٢٤- ٧٨٦هـ) من أعظم فقهاء الأمامية، كان أستاذاً في العلوم المختلفة بلا منازع وملقباً بإمام الفقه، تربى في بيت علم وأدب وأنجب أولاداً من الذكور والإناث كانوا جميعاً من الفقهاء من مؤلفاته: الدروس الشريعة في فقه الإمامية، الذكرى، البيان، اللمعة الدمشقية، الأربعَون حديثاً.

(٢) الشهيد الثاني: هو الشيخ زين الدين بن الشيخ نور الدين العاملي (٩١١- ٩٦٦هـ) من كبار العلماء الزهاد والعباد ومن كبار علماء وفقهاء الشيعة كان متقناً لفقه المذاهب الأربعة ومدرساً لها، من مؤلفاته: شرح اللمعة، مسالك الإفهام، منية المريد، أسرار الصلاة، كشف الريبة.

(٣) الشيخ مرتضى الأنصاري (١٢١٤- ١٢٨١هـ/ ١٨٠٠- ١٨٦٤م) خاتمة الفقهاء والمجتهدين من ذرية الصحابي جابر بن عبد اله الأنصاري ومن نوابغ علم أصول الفقه الذين أحدثوا فيه تطوراً كبيراً تخرج من مجلس درسه من مجلس درسه الكثير من العلماء، من مؤلفاته: كتبا المكاسب، فرائد الأصَول، كتاب الطهارَة، هو الشيخ مرتضى بن الشيخَ محمد أمين بن الشيخ شمس الدين الأنصاري، يتهي نسبه إلى الصحابي الجليل والمعروف جابر بن عبد الله الأنصاري، ولد سنة ١٨٠٠ في دزفول وفيها نشأ نشأة دينية منذ نعومة أظفاره، حيث تعلم الكتابة وقراءة القرآن الكريم وله من العمر خمس سنوات فقط، أخذ بعدها في دراسة الصرف والنحو والمنطق والمعاني والبيان متلمذاً في هذه العلوم على والده وعلى مشايخ مدينته وبعد إكماله مرحلة المقدمات بدأ بدراسة الأصول والفقه على يد بعض أعلام علماء بلدته هاجر مع والده إلى العراق سنة ١٨١٨، ووصلا إلى مدينة كربلاء المقدسة حيث كانت حوزتها فأمضى فيها مدة أربع سنين، اضطر إلى مغادرتها سنة ١٨٢١ إلى مدينة الكاظمية بعد أن هددت بالاجتياح من قبل والي بغداد داود باشا على أثر اغتيال متصرفها المعين من قبله لم يمكث في الكاظمية إلا أياماً معدودة، عاد بعدها إلى موطنه الأصلي دزفول، ثم ما لبث أن عاد إلى كربلاء سنة ١٨٢٣ فبقي فيها مدة سنة كاملة بعدها عزم في السفر إلى مدينة النجف الأشرف لزيارة مرقد الإمام علي عليه السلام وإكمال دراسته في حوزتها العلمية، فحضر فيها درس الشيخ موسى كاشف الغطاء لمدة سنتين بعدها غادر مرة أخرى إلى دزفول. لم يكتف الشيخ مرتضى الأنصاري بما ناله من البحوث الفقهية والأصولية في مدينتي كربلاء المقدسة والنجف الأشرف، فتطلع إلى الاستفادة من العلماء الموجودين في إيران، فتنقل في ربوعها العلمية لمدة سبع سنوات بين حوزة مشهد وكاشان وأصفهان، عاد إلى النجف الاشرف سنة ١٨٢٣، لتكون محطته الأخيرة في تدعيم وترصين مكاسبه العلمية والفقهية، حيث حضر حلقتي درس الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والشيخ علي كاشف الغطاء، تولى المرجعية بعد وفاة شيخه محمد حسن صاحب الجواهر، فقد عمل الأخير وفي حياته على أن تؤول الأمور من بعده إلى تلميذه، توفي الشيخ مرتضى الأنصاري سنة ١٨٦٤ ودفن في الصحن الحيدري باب القبلة.

*** كما ويدرس الطلاب في هذه المرحلة كتب أصول الفقه وهي:**

١- كتاب أصول الفقه: للشيخ محمد رضا المظفر[٤].

٢- كتاب الرسائل (فرائد الأصول): للشيخ الأنصاري وهذا الكتاب يشمل على أبحاث القطع والظن والأصول العملية والتعارض والترجيح، أو يدرسوا كتاب (دروس في علم الأصول) لمؤلفه السيد الشهيد محمد باقر الصدر (١٩٣٦- ١٩٨٠م)، الحلقة الثانية ذات مجلد واحد أو الحلقة الثالثة ذات المجلدين الأول لأبحاث الألفاظ والثاني للأصول العقلية.

٣- كتاب كفاية الأصول: لمؤلفه الشيخ الآخوند الخراساني[٥]، كتاب بجزأين، يبحث المجلَد الأول عن الألفاظ والمجلد الثاني عن الأصول العقلية، وبانتهاء هذه الكتاب تنتهي مرحلة السطوح التي تستمر عادة أربع سنوات دراسة ويصبح الطالب مؤهلاً للالتحاق بمرحلة البحث الخارج.

ج- مرحلة البحث الخارج:

تعتبر هذه المرحلة بداية التحقيق وإبداء النظر والاجتهاد وحيث يحضر الطالب بحث الأصول وبحث لأصول ومن اللازم عليه أن يكون في مستوى استيعاب الدرس الذي يستغرق ثلاثة أرباع الساعة أو أكثر من دون كتاب يقرأ فيه ولهذا تسمى هذه المرحلة بالبحث الخارج لأن الأستاذ يلقي الدرس من دون كتاب ويجب على الطالب الانتباه الكامل للدرس لاستيعابه

(٤) الشيخ محمد رضا المظفر (١٩٠٢- ١٩٦٣) ولد في النجف الأشرف من أسرة علمية ودينية نال مرتبة الاجتهاد فقهاً وأصولاً تأثر في بيئة النجف الثقافية ومجالسها الأدبية وهو مؤسس كلية الفقه وجمعية منتدى النشر ترك كتباً قيمة منها عقائد الإمامية، وأصول الفقه، والسقيفة وغيرها.

(٥) الشيخ الآخوند الخراساني: هو الشيخ محمد كاظم الخراساني (١٨٣٩- ١٩١١م) من كبار فقهاء الشيعة الأمامية كان أستاذاً لعلم الأصول، ابن ملا حسين الهروي الخراساني المعروف ب«الآخوند»، ولد في مدينة مشهد المقدسة عام ١٨٣٩، ونشأ في أسرة جمعت الثراء والعلم والتدين، فترعرع في ظل مناخ روحاني، سادت فيه قيم القرآن الكريم وتلقى دراسته الأولية على يد والده حتى بلغ عمره اثني عشر عاماً، ثم دخل في حوزة مشهد المقدسة، فأخذ فيها المقدمات وبعض من أسس العربية وآدابها إلى جانب المنطق حتى بلغ عمره أحدى وعشرين عاماً، فقرر في إثرها السفر إلى النجف الأشرف حيث حوزتها العلمي، فوصلها عام ١٨٦٢، فالتحق بدرس الشيخ مرتضى الأنصاري، والسيد محمد حسن الشيرازي، وواكبهما مدة قاربت عقداً من الزمان نال بعدها درجة الاجتهاد، فأصبح أحد ابرز أساتذة حوزة النجف الأشرف، حتى دانت له مقاليد المرجعية، ألفَّ عدداً من المصنفات الفقهية والأصولية، لعل من أشهره مصنفه ذائع الصيت «كفاية الأصول»، الذي لا زال إلى وفتنا الحاضر أحد أرز التصانيف المعتبرة في حلقات الدرس الحوزوية لا في النجف الأشرف فحسب، بل في العديد من الحوزات العلمية، لهُ مواقف سياسية ضد الاستعمار الأجنبي.

فيكون التدريس خارج الكتاب لقد اعتاد علمائنا المحققون أن يدّرسوا علم أصول الفقه في هذه المرحلة على كتاب كفاية الأصول حيث يستعرض الموضوع ويذكر آراء أساطين العلماء الماضين٢ ويذكر مناقشة كل واحد منهم على الآخر ثم يختار الأستاذ رأيهُ في المسألة ويستدل على ذلك بالأدلة التي يعتبرها قوية ومتينة بحسب رأيه.

كما واعتاد الفقهاء على تدريس علم الفقه في هذه المرحلة على ترتيب كتاب العروة الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدي[1] حيث يستعرض الأستاذ المسألة الفقهية ثم يستعرض آراء الفقهاء٢ قديماً وحديثاً ويذكر أدلتهم ويناقش تلك الأقوال والبراهين ويستخلص الرأي الصحيح حسب رأيه، وعلى الطالب مراجعة الكتب والأحاديث والتمعن في تلك الأقوال وبراهينها والأحاديث وأسانيدها ومتنها ونسخها كي يتوصل إلى فتوى يتبناها.

وبعد حضور الطالب دورة فقهية على يد علماء وفقهاء الحوزة العلمية حضور تدبر واستيعاب يصبح الطالب مجتهداً وأستاذاً وقد تستغرق دراسة البحث الخارج في علم أصول الفقه من أولها إلى آخرها مدة تتراوح ثمانية أعوام إلى عشرة حسب كيفية تدريس الأستاذ.

قائمة المصادر

١- ابن سعد البصري: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨.

٢- ابن كثير: البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.

٣- أحمد بن علي النجاشي: رجال النجاشي مؤسسة النشر الإسلامية قم. د. ت.

٤- أحمد أمين: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥.

٥- أحمد بن علي الحسيني ابن عنبة: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، د. ت.

٦- أبو القاسم الخوئي: معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٠.

٧- أغا بزرك الطهراني: طبقات أعلام الشيعة (القرن الرابع)، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٩٧١.

٨- حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٥.

٩- حسين البراقي: تاريخ الكوفة، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦.

١٠- عبد الجبار الرفاعي: مدرسة أهل البيت، مؤسسة الهدى الدولية، طهران، ٢٠٠١.

١١- عبد الكريم بن طاووس: فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي، مؤسسة الغدير للدراسات الإسلامية، قم، ١٩٩٨.

١٢- عبد الله أسعد اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، ١٣٣٨هـ

١٣- علي الشرقي: الأحلامن شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ١٩٦٣.

١٤- عباس القمي: الكنى والألقاب، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٥.

١٥- كاظم الحلفي: أضواء على تاريخ النجف، مطبعة الغري الحديثة، النجف، ١٩٧٨.

١٦- كامل سلمان الجبوري: السيد محمد كاظم اليزدي، مطبعة برهان، قم، ٢٠٠٦.

١٧- محمد باقر الصدر: المعالم الجدية للأصول، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٤.

١٨- محمد بن جعفر الطوسي: رجال الطوسي، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦١.

١٩- محمد الغروي: الحوزة العلمية في النجف الاشرف، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٤.

* * *

(١) السيد محمد كاظم اليزدي (١٨٣١- ١٩١٩) هو محمد كاظم عبد العظيم إبراهيم الطبأطبائي اليزدي، ولد عام ١٨٣١ في إحدى قرى يزد، عملت أسرته بفلاحة الأرض وزراعتها، تلقى مبادئ القراءة والكتابة في كتاتيب قريته، ثم انتقل إلى مشهد المقدسة دارساً فيها السطوح والمقدمات الفقهية والأصولية، وأكمل تحصيله العلمي في حوزتها ولاسيما في علمي الفلك، والرياضيات، ثم شدَّ الرجال إلى أصفهان، فتتلمذ على جماعة من علمائها حتى نال درجة الاجتهاد عقد العزم بعد ذلك على السفر إلى النجف الأشرف والالتحاق بحوزتها عام ١٨٦٤، فكان ممن حضر دروس محمد حسن الشيرازي، وعلماء آخرين، تسنم مقاليد المرجعية ولمدة قاربت عقدا من الزمان، عرف بمواقفه المناهضة للثورة الدستورية الإيرانية، لاعتقاده أن مجرياتها وانغماس الناس فيها تؤدي إلى إضعاف الأمة ف وقت تتعرض فيها إلى ضغوط استعمارية خطيرة من لدن روسيا القيصرية، وبريطانيا العظمى، فضلاً عن مواقفه الاحترازية الواقعية من تطورات الاحتلال البريطاني للعراق، توفي في التاسع والعشرين من نيسان عام ١٩١٩، ودفن في الصحن الحيدري المطهر، لمزيد من المعلومات راجع كتاب: الدكتور كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي، (قم: مطبعة برهان، ٢٠٠٦)، ص١٨.